الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم

الأستاذة: نعيمة بكوش

جامعة أدرار

الملخص: تهدف هذه الدراسة المعنونة بـ" الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم" إلى إبراز أهمية الإيقاع في القرآن الكريم، وتجلية العلاقة التي تربط الإيقاع بالمعنى وبالسياق في النص القرآني، بغية الوقوف على مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، ألا وهو " الإعجاز الصوتي".

وعليه، فقد أبان البحث أنّ الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم هو ظاهرة فنية بارزة في التعبير القرآني. وأكّد على أنّ له أثر فعّال في بيان المعنى وتجليته؛ بحيث يُسهِم في استظهار الدلالة، وتقوية معاني الألفاظ، وإعطائها القدرة على تحريك النفوس والتأثير فيها.

فالإيقاع القرآني لا نجده على وتيرة واحدة، بل إنّ المتأمّل فيه يُلفيه مجسّدا على ضروب من التشكيلات المتنوعة، ولّدتها طبيعة النص القرآني في جماليته الإعجازية.

كما بيّن البحث الانسجام التام بين الإيقاع الصوتي والموقف الذي سيق من أجله، فيتنوّع الإيقاع بتنوع الأجواء المصاحبة له، وهكذا دائما يلتقي جمال التعبير بجمال التصوير، ويلتقيان مع سموّ الأهداف في ذلك الجو القرآني العجيب.

ذلك الإيقاع الذي عنى به القرآن الكريم عناية كبيرة، لِما له من أثر في استمالة النفس في تقبّل المفاهيم والأغراض التي جاء بها، فكان أداة للتمكين والتأثير قصد الاستجابة والإذعان، وهو بهذا آل إيقاعا قرآنيا مميّزا في رصف أصواته، وترتيب كلماته، وبديع نظمه، وذاك سرّ من أسرار إعجازه، وجمال جرسه.

Résumé: Le l'objectif de cette étude intitulé:" *le rythme phonique dans le Saint Coran"* est de démontrer l' importance du rythme phonique dans le Saint Coran et d' illustrer la relation qui relie le rythme au sens et au contexte, afin de définir l' un des aspects miracle du Coran qui est miracle phonique.

Cette étude démontre que le rythme phonique dans le Saint Coran est un phénomène artistique majeur dans l' expression coranique, et il joue un rôle important dans le sens en clarifiant la signifiant la signification tout en donnant aux mots la capacité d' émouvoir et d' influencer.

Dans texte coranique le rythme phonique n' a pas la même cadence, il est varié, cette étude démontre qu' il existe une l' harmonie entre le rythme phonique et le contexte dans lequel il évolue, le changement se fait à chaque fois que le contexte change. Cette situation engendre toujours une synergie entre la beauté de l' expression, de la métaphore et de l' expression, de la métaphore et de l' objectif suprême du Saint Coran.

C' est à juste titre que le Saint Coran s‹ est intéressé grandement au rythme phonique parce que ce rythme joue un rôle prépondérant dans l'acceptation de la signification et de leur finalités, il est dans le Saint Coran un outil de persuasion pour le consentement et de leur finalité, il est dans le Saint Coran un outil de persuasion pour le consentement et pour la soumission aux préceptes divins. Le rythme coranique est exceptionnel dans l'agencement de ses sons et dans l' organisation de mots, cela est l' un des secrets des miracles de Saint Coran et de la beauté son exceptionnelle musicalité.

مقدمـــة

الحمد لله معلِّم الإنسان ما لم يعلم، منزِّل القرآن الكتاب الأعظم المعجِز بنظم آياته، وتناسب سوره وفواصله، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى أفصح العرب لسانا، وأوضحهم بيانا، وأقواهم حجة، وبرهانا، وبعد:

فإن القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، فأعيت بلاغته البلغاء، وأسكتت فصاحته الفصحاء، وأبهرت حكمته الحكماء، وأذهلت روعته الخطباء، فهو الحجة البالغة، والدلالة الدامغة، والنعمة الباقية، والعصمة الواقية، وهو شفاء الصدور، والحَكَم العَدْل فيما أُحكِم وتشابه من الأمور.

والقرآن يُرتَّل ترتيلا، ويُجوِّد قارئه ويترنَّم في قراءته، ففي قراءته قدرة على التأمّل والتطريب؛ لما في قراءته ونظمه من الإيقاع، والموازين التي تظهر للقارئ المتأمِّل في نظم حروفه، وتركيب كلماته، وسبْك عباراته...فهو ينبوع البلاغة، ومعدن الفصاحة، وقِبلة الدارسين لكنوز العربية، وما من شاردة ولا واردة في القرآن الكريم إلا وكانت محلّ النظر والتأمُّل لدى الدارسين.

وإنّ بحثي هذا في موضوع" **الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم**" هو في إطار الدراسة الصوتية، بحيث تحاول هذه الدراسة أن تستظلّ بفيء القرآن الكريم، لتصاحب لونا من ألوان إعجازه، متمثِّلا في الإعجاز الصوتي من خلال التعرّض لموضوع الإيقاع مدلِّلين به على سرٍّ من أسرار إعجازه، وجمال موسيقاه. وكل هذا في إطار معالجة إشكالية مفادها: هل يعدّ الإيقاع مظهرا من مظاهر الإعجاز الصوتي؟ وفيما يتجلّى الإيقاع في القرآن الكريم؟ وما علاقة الإيقاع الصوتي بالمعنى وبالسياق في النص القرآني؟

ولقد اقتضت طبيعة البحث والمادة العلمية، استواء البحث على أربعة عناصر، وتقفوها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، وهي على النحو الآتي:

أولا: تعريف الإيقاع لغة واصطلاحا.

ثانيا: تعريف الصوت لغة واصطلاحا.

ثالثا: الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم.

رابعا: نموذج تطبيقي(مختارات من القرآن الكريم).

الخاتمة.

منتهِجة في ذلك المنهج الوصفي المدعوم بأداة التحليل.

وقد اتكأت في بحثي هذا على المصادر والمراجع ذات الصلة، وخاصة كتب البلاغة واللغة والأدب...وغيرها كثير، كان من أهمها: كتاب " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" لمصطفى صادق الرافعي، وكتاب" التصوير الفني في القرآن الكريم" لسيد قطب، وكتاب" التشكيل الصوتي في اللغة العربية" لعبد القادر مرعي، وكتاب" الجرس والإيقاع في تعبير القرآن" لكاصد ياسر الزيدي،....

أولا: تعريف الإيقاع لغة واصطلاحا:

الإيقاع ظاهرة حيوية عامة، فكل ما حولنا له إيقاعه الخاص؛ إن في أمواج البحر، وهبّات الرياح، وخطوات الأقدام، ونبضات القلب إيقاعا....واللغة صورة الحياة وكل ما نجده في الحياة سنجد له أصداء في اللغة؛ لأن اللغة تعبير عن الحياة.

لقد ورد في لسان العرب" الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو يوقع الألحان ويبينها"[1].

أما اصطلاحا، فعرّفه ابن سينا قائلا:" الإيقاع تقدير ما لزمن النقرات، فإن اتفق أن كانت النقرات منغمة كان الإيقاع لحنا، وإذا اتفقت أن كانت النقرات محدثة للحروف المنتظم منها كلام كان الإيقاع شعريا".[2]

وجاء في تعريف رجاء عيد للإيقاع بأنه:" عنصر محدد وإنما هو مجموعة متكاملة، أو عدد متداخل من السمات المميزة تتشكل...بواسطة التناسق الصوتي بين الأحرف الساكنة والمتحركة، إضافة على ما يتصل بتناسق الطبقات الصوتية

[1]) ابن منظور، لسان العرب، ج15، دار صادر– بيروت– لبنان، ط1، 1997م،مادة(وقع)، ص203

[2]) جابر عصفور، مفهوم الشعر، مطبوعات فرح– قبرص، ط4، 1990، ص247.

داخل منظومة التركيب اللغوي من حدة أو رقة، أو ارتفاع، أو انخفاض، أو من مدات طويلة، أو قصيرة."[1]

ويرى عبد الرحمن تبرماسين أنّ الإيقاع هو:" انسجام الصورة مع الصوت الذي يُحدِث في النفْس اهتزازا وشعورا بالمتعة، هذا الانسجام تحدثه العلاقة المتعدية بين الصوت والصورة، فالجذب من قِبَل النظر للصورة يقابله الوقْع في السمع من قِبَل الكلمة، ونقطة التقاطع بينهما هي أحداث الأثر في النفس والإحساس بحركة الجمال التي يحدثها الإيقاع، فتحدث المتعة التي تمزج بين الصورة والسمع ويصيران كُلاً واحدا."[2]

واضح من كلام صاحب النص أن الإيقاع مردّه إلى ذلك الانسجام والتناسق والتآلف والتوحّد بين الصورة والصوت الذين يحدثان بفعل تلك الحركة المتعدية أثرا في النفس ويولد المتعة والجمال والترنّم،...

أما محمد العياشي فوصفه قائلا:" وأما الإيقاع فهو ما توحي به حركة الفرس في سيره وعدْوه، وخطوة الناقة، وما شاكل ذلك، لخضوع تلك الحركة في سيرها إلى مبادئ لا تفريط فيها، هي: النسبية في الكميات، والتناسب في الكيفيات، والنظم، والمعاودة الدورية، وتلك هي لوازم الإيقاع."[3]

فقد أبان هذا النص وأفصح عن أهم الشروط التي تضبط الإيقاع، والتي هي بمثابة مفاتيح لفهم الإيقاع؛ وهي: الحركة، والنسبية، والتناسب، والنظام، والمعاودة الدورية." فالإيقاع متصل بالحركة غير منفصل عنها، ولا ينفصل إلا إذا كانت عشوائية، وغير فنية، ومن ثمّ فهي من لوازمه، والنسبية تهدف إلى تحقيق العلاقة بين شيئين متناسبين في الحركة والزمان والأداء، والتناسب يعمل على التوافق

[1]) رجاء عيد، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، منشاة المعارف بالأسكندرية، ب–ط، ب– ت، ص15.

[2]) عبد الرحمن تبرماسين، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع– القاهرة، ط1، 2003م، ص94.

[3]) محمد العياشي، نظرية إيقاع الشعر العربي، المطبعة العصرية– تونس،(ب– ط)، 1967م، ص42.

بينهما، والنظام يعني الترتيب والتناسق، والمعاودة الدورية ضرورية لكي يتحقق الإيقاع، إذ لا إيقاع بلا تكرار ومعاودة." [1]

نستنتج مما تقدّم، أنّ الإيقاع هو وحدة النغمة التي تتكرّر على نحوٍ ما في الكلام، أو في البيت، أي توالي الحركات والسكنات على نحوٍ منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام، أو في أبيات القصيدة، كما أنه نظام معيّن يتوفّر في كل الفنون مع اختلاف في درجة وضوحه من فن لآخر، كما يكسب الفنون المتعة الجمالية الكافية.

ثانيا: تعريف الصوت لغة واصطلاحا:

أ– الصوت لغة: من صات يصوت صوتا، فهو صائت، ومعناه صائح، قال ابن السكيت: الصوت

صوت الإنسان وغيره، والصائت الصائح، ورجل صيِّت كسيِّد: حسن الصوت شديده[2]. وفي اللسان الصوت: الجرس معروف، صات وصوَّت: نادى....رجل صيِّت: شديد الصوت عاليه. فالدلالة اللغوية المعجمية للصوت تشير إلى الصياح، والدعاء، والنداء، والحُسن.

ب– الصوت اصطلاحا: حدّده ابن سينا في قولته:" أظن أن الصوت سببه القريب تموّج الهواء دفعة بسرعة وبقوة من أي سبب كان"[3]. وأوضحه إبراهيم أنيس قائلا:" الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها، فكل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، على أن تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات."[4] مفاد قولة إبراهيم أنيس هذه، أن الصوت أيًا كان مصدره يستدعي جسما يهتز؛ أي أن تلك الاهتزازات هي التي تنبئ عن الصوت وتكشف عنه.

---

[1]) عبد الرحمن تيبرماسين، المرجع السابق، ص102.

[2]) ابن منظور، لسان العرب، مادة(صوت)، ج7، ص302.

[3]) ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، مكتبة الكليات الأزهرية، د– ط، 1398هـ– 1978م، ص50.

[4]) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة، ط4، 1981م، ص05.

أما الصوت الإنساني فقد تكلم عنه ابن جني محدّدا إيّاه في نصه:" اعلم أن الصوت عرَض يخرج مع النفَس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحرف بحسب مقاطعها."[1] واضح من كلام ابن جني أن الصوت الإنساني مصدره جهاز النطق الذي دلّل عليه عن طريق استخدامه لفظ: الحلق، الفم، والشفتين.

وقال فيه الجاحظ:" وإن الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولا تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا أو منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف."[2]

ثالثا: الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم:

ينشأ الإيقاع الصوتي من أصوات الحروف والحركات في الكلمة، ومن اختيار الكلمات، ومن تنضيد الجملة من الكلمات، ومن طول الكلمات، والجمل وقصرها، ومن مقاطع الجمل وفواصلها، كل ذلك روافد رئيسة يستجمع منها الإيقاع الصوتي. ولا يخفى أن للإيقاع صلة وثيقة بمسألة الجمال الصوتي، وهذا الجمال الصوتي يؤدي إلى سرعة دخول المعنى إلى القلب، لأن الأذن تلذه وترتاح إليه.[3]

ثم إن الإيقاع الصوتي ظاهرة فنية بارزة في التعبير القرآني" إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا، ولم تُراع في هذا الموضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل رُوعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله."[4]

---

[1]) ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، ج1، ت: حسن هنداوي، دار القلم– دمشق، ط2، 1413هـ–1993م، ص11.

[2]) الجاحظ، البيان والتبيين، ص79.

[3]) حسن القزفي، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، ص94– 95.

[4]) فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار– عمان، ط6، 1430هـ– 2009م.

مفاد هذا الكلام، أن الإقرار أو التأكيد على وجود الإيقاع في القرآن الكريم لا يعني هذا أنه جيئ به أو وُظِّف من أجل المتعة واللذة واللمسة الجمالية الموقعة عن طريق التشكيل الصوتي أو البناء الصوتي لآي القرآن الكريم، بل تناغم وتجانس وانسجم هذا الإيقاع مع الدلالة والسياق والجو النفسي الذي وُضع له هذا التعبير عن غيره.

وهذا كله مظهر من مظاهر الإعجاز الصوتي، تجسّد في هذا الترنّم وهذا الإيقاع الصوتي، ولأدلّ على ذلك ما أكده الرافعي في نصه:" فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته أبديا، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية وفوق ما يتسبب إليه الإنسان إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة، وما أنزله إلا الذي يعلم السر في السموات والأرض."[1]

لاشك أن هناك أهمية بالغة للإيقاع في اللغة العربية عموما، وفي لغة القرآن الكريم خصوصا، ولا نغلو القول إن الجمال الصوتي، والتناسق الفني، والإيقاع الموسيقي، هو أول شيء أحسته الأذن حين نزل القرآن الكريم، أخذ الألباب بجمال عباراته، وروعة إيقاعاته، ونظمه. إذًا، امتازت لغة القرآن الكريم بإيقاعاتها وموسيقاها، فمثلت الصورة التناسق الفني فيه، ومرآة عاكسة لتصوير معانيه، فإيقاعاته لا تتبع من وزن شعري أو تفعيلات كالشعر العربي، وإنما تتبع من مكونات اللغة نفسها ودلالاتها عليه."[2]

فالإيقاع في القرآن الكريم يجعله الله جل جلاله أداة للتمكين والتأثير قصد الاستجابة والإذعان، وهو بهذا آل إيقاعا قرآنيا مميّزا في رصف أصواته، وترتيب كلماته، وبديع نظمه، كما أنها الميزة التي جعلت منه خطابا يتعالى على التبديل

[1]) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مجموعة مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب– الجزائر، (د– ط)، (د– ت)، ص211.

[2]) محمد مهدي حنان، الإيقاع الصوتي الإيحائي في سياق النص القرآني، مجلة كلية التربية للبنات، السنة 04، العدد 21، 2010م.

والتغيير.[1] وذاك سرّ من أسرار إعجازه وجمال موسيقاه، وروعة نغمتها الآخذة بالألباب ومجامع القلوب. ويحمل في ثناياه شفرات المعاني، ومفاتيح الدلالات، إلى درجة تمنحه خاصية التأثير في نفوس مستمعيه.[2]

فالإيقاع الصوتي في القرآن الكريم إذاً، أثر فعّال في بيان المعنى وتجليته، فهو مظهر من مظاهر إعجاز القرآن المتمثِّل في جرس ألفاظه وإيقاعها، ذلك الإيقاع الذي عنى به القرآن الكريم عناية كبيرة، لِما له من أثر في إمالة النفس في تقبّل المفاهيم والأغراض التي جاء بها.

لقد ورد الإيقاع في القرآن الكريم بأنماط مختلفة ومتنوعة تتماشى والمعنى الذي تعبّر عنه، فالقرآن لا يعتمد التفكير وحده ليقنع، ولكنه يتكئ عليه وعلى الوجدان ليستميل[3]. لذا ارتبطت الموسيقى – كأداة فنية في التعبير– بقيم القرآن ومفاهيمه عن الله والإنسان، ارتباطا جعلها من أهم الأدوات ذات التأثير المباشر في نفس الجاهلي ووجدانه[4]. يقول الرافعي في هذا الصدد:" فلما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ألحانا لغوية رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة"[5].

لذا فإن جاذبية الإيقاع القرآني خصيصة من خصائص القرآن، والإيقاع القرآني لا نجده على وتيرة واحدة، بل المتأمِل فيه يلفيه مجسَّدا على ضروب من التشكيلات المتنوعة ولّدتها طبيعة النص القرآني في جماليته الإعجازية؛ ذلك أن الخطاب القرآني ابتنى في كليته بنية إيقاعية منفردة، فميّزته عن غيرها من البنى، وهو ما نلفيه واضحا بشكل جلي في الخطاب القرآني المكي على وجه الخصوص تحت أشكال متنوعة غنية، متجدّدة، متفاوتة النفَس، متغايرة النغم، بل إن اختلاف ضروب الإيقاع في القرآن ترتّب عليه اختلاف البنية نفسها، وقد تجسد في السور

---

[1]) محمد جرير، البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن، ص01.

[2]) (ينظر)، خالد قاسم، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن، ص138.

[3]) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1972م، ص199.

[4]) كاصد ياسر الزيدي، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، ص330.

[5]) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، ص168.

القصار، ولم تتجسد بنيتها في التشكيلات الإيقاعية فقط بل يتجلى في أهم عناصر الإيقاع هو الإيقاع الصوتي.[1]

وسأقدّم في هذا البحث المتواضع من النماذج التطبيقية ما يؤيِّد هذا الطرح، وهو كالآتي:

تأمّل قوله جلّ شأنه:" **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا**"[2]، فكلمة(**يزجي**) بجرسها الموسيقي ترسم حركة السحاب البطيئة في السماء، وما فيها من امتدادات رخية متطاولة، بخلاف لو استعمل كلمة(دفع) أو(ساق)؛ فكلمة(يزجي) تبدأ بالياء، وتختم بالياء أيضا، والياء حرف لين رخو، ولكن الزاي حرف من حروف الصفير والجهر، والجيم من حروف الشدة، ولكن تركيب الجيم في الكلمة بين الزاي والياء، وحركة الكسر عليها خفّفت من شدتها، وجعلتها منساقة مع ما قبلها وما بعدها. فهذه الكلمة توزيع حروفها من حيث المخارج والصفات، وتنويع حركاتها، وتأليفها من مقطعين(يُزْ) (جِي) جعل إيقاعها رخيا ممتدا كرخاوة حركة السحاب وامتداده في السماء. ولكل خاصية لها تأثيرها في النفس ودورها في توضيح المعنى.[3]

وتدبّر قوله جلّ جلاله:" **القَارِعَةُ مَا القَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ**"[4]. تصف الآيات الكريمات يوم القيامة" وأي شيء هي القيامة؟" إنها في الفظاعة والفخامة بحيث لا يدركها الخيال، ولا يبلغها وهم إنسان، فهي أعظم من أن توصف أو تصوّر، ثم زاد في التفخيم والتهويل لشأنها فقال: وما أدراك ما القارعة؟، أي أيّ شيئ أعلمك ما شأن القارعة في هولها على النفوس إنها لا تقرع القلوب فحسب، بل تؤثر في الأجرام العظيمة، فتؤثر في السماوات بالانشقاق، وفي الأرض بالزلزلة، وفي الجبال بالدكِّ والنسْف، إلى غير ذلك من معقبات هذا اليوم العظيم.

---

[1]) (ينظر)، عبد القادر مرعي، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص83-84.

[2]) سورة: النور، الآية: 43.

[3]) الرافعي، إعجاز القرآن، ص215.

[4]) سورة: القارعة، الآية: 1- 3.

ولو أعدنا النظر في المقاطع الصوتية التي تتألّف منها هذه الآيات الكريمات لوجدنا أنّ الغالب عليها هي المقاطع المفتوحة بنوعيها القصيرة والطويلة، فقد بلغت ستة عشر مقطعا من مجموع مقاطع الآية وعددها عشرون مقطعا:

اَلْ/ قَا/ رِ/ عَ/ ةُ/ مَلْ/ قَا/ رِ/ عَ/ ةُ/ وَ/ مَا/ أَدْ/رَا/ كَ/ مَلْ/ قَا/ رِ/ عَ/ ةُ/.

فالمقاطع المقفلة اقتصرت على اَلْ/ مَلْ/ أَدْ/ مَلْ، والباقي كله مقاطع مفتوحة.

إنّ كثرة المقاطع المفتوحة في هذه الآية الكريمة تفتح الأبواب أمام الخيال لتأمل الأهوال، وهي تمنح المتأمِّل فسحة زمنية كافية لتصوّر الفزع والهلع الذي يحل بالبشر في ذلك اليوم الموعود، وإذا أضفنا إلى ذلك ما في صوت القاف من جرس قوي صاعق، وقد تكرّر هذا الصوت ثلاث مرات، وما في صوت الراء من صفة التتابع لطرقات اللسان عند أدائها، وقد تكرّر هذا الصوت أربع مرات، ندرك مدى النغم المنحدر من هذه الآية مع المعاني وإيحائها بتلك الأهوال.[1]

ومَنْ يُنعم النظر ويدقِّق في فواصل سورة البقرة يجدها جميعا اشتملت على حروف المد واللين الثلاثة(الألف والواو والياء)، قد أُتبعت بصامت غالبا ما كان صوت النون(...) هذا يعني أن حروف المد واللين، إذا أُتبعت بصوت النون في غير مرة بصورة مكررة فإنه يتمخّض عن ذلك إيقاعية تطريبية، تطيب إليها النفس، ويأنس إليها السمع، ومن الواضح لنا أنّ السورة في معظم فواصلها بنيت على هذا الملحظ الهام، والذي أرى أنه من أعظم التقنيات الصوتية التي أغنت النص القرآني بموسيقى إيقاعية على مستوى السورة كلها.[2]

[1]) سناء حامد، التنغيم في القرآن الكريم، مركز الدراسات الإسلامية والشرق أوسط، جامعة بغداد، ومركز إحياء التراث العلمي العربي– العراق، (د–ط)، 2007م، ص20.

[2]) عادل عبد الرحمن عبد الله إبراهيم، النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة– دراسة صوتية وصفية تحليلية، إشراف: فوزي إبراهيم موسى أبو فياض، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية– غزة، 1427هـ– 2006م، ص190–191.

يقول فاضل صالح السامرائي في شأن الفاصلة القرآنية:" لقد تبيّن ممّا مرّ أنّ القرآن الكريم لا يُعنى بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق، بل هو يحسب لكل ذلك حسابه، فهو يختار الفاصلة مراعىً فيها المعنى والسياق والجرس ومراعىً فيها خواتم الآي وجوّ السورة ومراعىً فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى، بل مراعىً فيها إلى جانب ذلك كله عموم التعبير القرآني وفواصله، بحيث تدرك أنه يختار هذه الفاصلة في هذه السورة لسبب ما، واختار غيرها أو شبيها بها في سورة أخرى لسبب دعا إليه، وجمع بين كل ذلك ونسّقه بطريقة فنية في غاية الروعة والجمال حتى كأنك تحس أنها جاءت بصورة طبيعية غير مقصودة، مع أنها في أعلى درجات الفن والصياغة والجمال، فما أجمله من كلام، وما أعظمه من تعبير".[1]

الخاتمة:

لقد تبيّن من خلال البحث ما يأتي:

* إنّ للإيقاع الصوتي في القرآن الكريم أثرا فعّالا في بيان المعنى وتجليته، فهو مظهر من مظاهر إعجاز القرآن.

* ورد الإيقاع في القرآن الكريم بأنماط مختلفة ومتنوعة تتماشى والمعنى الذي تعبر عنه.

* الإيقاع ليس هدفا للتناسب، فلا يأتي التناسب لمجرد الجذب الموسيقي دون حساب المعاني، ولا يمكن تفسير اتباع اللفظ اللفظ إلا في ضوء المناسبة الصوتية والدلالية معا.

* يؤكد البحث فكرة العلاقة بين الأصوات العربية ودلالاتها وهي واضحة في عدة مظاهر، منها: الفاصلة، والمقطع الصوتي، والتنغيم،...

* لقد كان لفواصل القرآن مزية مهمة في إعطاء الآيات القرآنية جرسا موسيقيا له أثره الخاص في النفس والوجدان، وتناسق مع سياق الآية وجوها المعنوي.

[1]) فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار– عمان، ط6، 1430هـ–2009م.

* لقد كان لتوزيع الألفاظ في أي القرآن الكريم أثرها في خلق التوازن في الألفاظ، ودورها في تنغيمها وأحداث موسيقى أكسبت النفس تشويقا للمتابعة، ودافعية للتفاعل مع المعنى والدلالة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

* إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة، ط4، 1981م.
* إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958م.
* جابر عصفور، مفهوم الشعر، مطبوعات فرح– قبرص، ط4، 1990م.
* الجاحظ، البيان والتبيين،
* ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ت: حسن هنداوي، دار القلم– دمشق، ط2، 1413هـ– 1993م.
* حسن القزفي، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشرق، 2001م.
* خالد قاسم ني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن، عالم الكتب الحديث، عمان– الأردن، 2006م.
* رجاء عيد، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، منشأة المعارف بالأسكندرية، ب– ط، ب– ت.
* سناء حامد، التنغيم في القرآن الكريم، مركز الدراسات الإسلامية والشرق وسط– جامعة بغداد، ومركز إحياء التراث العلمي العربي– العراق، د–ط، 2007م.
* ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، مكتبة الكليات الأزهرية، د–ط، 1338هـ– 1993م.
* عادل عبد الرحمن عبد الله إبراهيم، النظام المقطعي ودلالاته في سورة البقرة– دراسة صوتية وصفية تحليلية، إشراف: فوزي إبراهيم موسى أبو فياض،(رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية– غزة، 1427هـ– 2006م.
* عبد الرحمن تبرماسين، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع،– القاهرة، ط7، 2003م.

* عبد القادر مرعي الخليل، التشكيل الصوتي في اللغة العربية(بحوث ودراسات)، مكتبة الإتقان للطباعة والاستنساخ، عمان– الأردن، ط1، 2002م.

* فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار– عمان، ط6، 1430هـ– 2009م.

* كاصد ياسر الزيدي، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن.

* محمد جرير، البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن.org–awu–dam–www //http/ 022 htm –100 –turath 99 /100 –99 /trath

* محمد العياشي، نظرية إيقاع الشعر العربي، المطبعة،العصرية– تونس، ب– ط، 1967م.

* محمد مهدي خان، ا لإيقاع الصوتي الإيحائي في سياق النص القرآني، مجلة كلية التربية للبنات، السنة4، العدد 21، 2010م.

* مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مجموعة مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب– الجزائر، د–ط، د– ت.

* ابن منظور، لسان العرب، ج7و ج15، دار صادر– بيروت– لبنان، ط1، 1997م.